ذكريات فرنسا 1998: زيدان حي فينا!

لم أعد من دعاة تبني مقولة «22 أحمق يركضون خلف كرة»، بل سيحلو لي استبدالها بـ«22 طاقة تطارد الكرة»، كما أنني لست متأكدة إن كانت لامبالاة النساء بكرة القدم «جينيّة» أم أنها مجرد ثقافة «نمطية» عالميّة. الآن، أتذكر كمّ المرات التي راودتني فيها كرة القدم عن نفسي وتمنّعت. في البداية، عُرض عليّ مرة أن التحق بدورة تدريبية هنا في باريس لأصبح معلّقة على مباريات كرة القدم. حينها اعتبرت أن المدير الخمسيني مصاب بـ«وشّة». بعد سنوات طويلة ندمت ندماً عابراً والسلام

باريس ـ ريتا خوري

عند حلول كل مونديال، يخطر لي أن أقارن ما يحدث في لبنان مثلاً، من مهرجانات أعلام وأجواء حماسية بما يحدث هنا في فرنسا، فتصادفني المشاعر النسائية المذكورة أعلاه تجاه كرة القدم. لا أدري إن كنت محقة في تصنيف الفرنسيين من أبرد الشعوب الأوروبية في التعاطي مع كرة القدم أو مع منتخبهم. قد تكون مسألة ثقافة غير متجذرة. يحبّونه عندما يحقق إنجازات، أما حين يتردى الوضع فيعرضون عنه؛ وهكذا ترتبك المقارنة.

بدا هذا الحب في أبهى تجلياته في 1998، العام الذي استضافت فيه فرنسا كأس العالم. وقتذاك، لم نتمكن من الحصول على بطاقات لمشاهدة المباراة النهائية في «ستاد دو فرانس»، وانتهى الأمر بنا بجلسة حاشدة في منزل أحد الأصدقاء. يومها قررت ألا أتخلى عن حبي لفريقي المفضل، البرازيل، رغم أن فرنسا كانت ـ ومنذ اللحظة التي اتخذتها لي موطناً ثانياً ـ كريمة الأخلاق معي، متسامحة و«حبّوبة» إلى درجة جعلتها تهبني الجنسية الفرنسية، بعد أن أثبتُّ أني مواطنة صالحة، سلخت جلدها الضرائب السنوية، ولم تتذمر! مهلاً... هل قلت مفضل؟ قد يكون كذلك، علماً أنني أكاد أجزم أني لم أشاهد له مباراة إلا بالصدفة. لكنه فريقي المفضل لأنه فريق رفاقي المفضل.

قررت أن فرنسا دولة ثرية ومرفهة، لذلك، لن «تزعل» مني إن أنا شجعت البرازيل في هذا اليوم التاريخي العظيم! لكن ناس الشارع كان لهم رأي آخر. في مترو الذهاب إلى بيت الصديقة، أضاءت بلوزتي الصفراء الفاقعة المساحة المكتظة من حولي. شباب وشابات، هرج ومرج وصياح وهتافات وكأنها مباراة جانبية في العربة.

سيقان اقتطعت على الأرجح من شخوص الفيترينات البلاستيكية (مانيكان) يلاعبونها في الهواء مزمجرين بعبارات من عيار: هذا مصيركم الليلة! خطر لي أنها المرة الأولى التي أصادف فيها نزعات عنفيّة عند هؤلاء الناس. أحدهم خاطبني: أنت يا صفراء، لا تنسي أن تبدّلي ألوانك في طريق العودة... سنسحقكم. ضحكت...

لم أنتبه إلى القلق على ملامح ابنة صديقي الصغيرة في تلك اللحظة، فقامتها كانت تعادل قامة الكرة. حسناً، أبالغ، لكنها كانت صغيرة جداً. خرجنا من المترو. حال الشارع لم يكن أفضل، فجأة دبّت حياة أخرى في المدينة. وصلنا. استقرينا في مقاعدنا، رسموا للصغيرة علماً فرنسياً على خدّها. كيف لا وهي فرنسية «أصليّة»! نظرت إلى نفسها في المرآة ثم خبأت الأقلام في جيبها: أزرق أحمر أبيض. انتهت المباراة، انتهت السهرة، فازت فرنسا وتعيّن علينا العودة سيراً على الأقدام، حتى ما «نروح دعس في المترو». «ليش كان المترو فاتح؟»، تسأل زميلة ثم تخبرني أن المترو عادة في المحطات الباريسية المكتظة بالعرب، كـ«باربيس» و«بيغال»، يقفل أبوابه أمام الركّاب لمدة تمتد إلى أربع ساعات أحياناً، في موعد المباريات الكبيرة. صراحة لست متأكدة، لا أذكر أحوال المترو، لكنني أذكر جيداً أنني لم أغير ملابسي الصفراء، وأنني تلقيت تقريعاً وافراً في الطريق، فاقترحت الصغيرة القلقة أن ترسم علماً فرنسياً يغطي كل وجهي. في اليوم التالي، وفي المكتب المعتم ذي النافذة التعيسة المطلة على الشارع التي نرى منها كل شيء ولا أحد يرانا، كان الزملاء يستعدون للذهاب الى جادة «شانزيليزيه» القريبة والشهيرة، للفرجة على الباص الذي يقلّ 11 أحمق، كانوا يركضون أمس خلف الكرة، لعلهم يحظون ببركتهم.

للكسل واللامبالاة أحياناً فوائد. انطلق الزملاء سيراً على الأقدام، وبقيت مع زميل يمقت كرة القدم في المكتب المعتم إياه نتأمل هدوء الشارع... وإذ به زيدان ورفاقه. كان الباص أنهى جولته وكرّ عائداً من هذا الشارع الفرعي إلى مكانٍ لا أعرفه، وكان لنا من الفرجة نصيب، على عكس أمة فرنسا التي أمّت الـ«شانزيليزيه»، ولم تحظ ببركات اللاعبين، من فرط الزحمة. لم يكن موجوداً آنذاك لا «آيفون» ولا «فيسبوك» ولا «انستاغرام». وتالياً، لم نفكر بالهرولة هاتفين وراءهم صورة صورة من فضلكم!

وماذا ستكتبين أيضاً في المقال؟ يسألني

هنا إيطاليا... «نوتي ماجيكي» تعود من جديد

ميلانو ـ حسين ياسين

كان الزمن زمن الـ«كالتشيو». كانت ايطاليا «جنة كرة القدم»، من يريد دخولها عليه أن يكون أهلاً لها. عشية مونديالها في 1990، توّج ميلان بكأس دوري أبطال أوروبا، وسمبدوريا بكأس الكؤوس الأوروبيّة، ويوفنتوس بكأس الاتحاد الأوروبي. كان الفارق كبيراً بينها وبين البقية. لكن رجال فيتشيني، المدرب آنذاك، لم يرفعوا اللقب. توقفت مسيرتهم في نابولي... أمام مارادونا، في ظاهرة لم تحصل قبل تلك الليلة ولا بعدها: جمهور البلد المضيف يشجع لاعباً منافساً. لكنه لم يكن أي لاعب. بالنسبة الى تلك المدينة إنه مارادونا: الفرح الذي لم تعرفه نابولي سوى على يديه. كان «الكبرياء» و«الكرامة» للذين يعانون في جنوب إيطاليا، وهم الغالبيّة، في مواجهة الشمال الغني وصاحب القرار الاقتصادي في البلاد.

لم تكن يوما كرة القدم في ايطاليا مجرد رياضة. على الإطلاق، هنا نحن أمام اكثر بلد في العالم، ربما، يتحدث أهله في كرة القدم. سياسيّون، فنانون، رجال أعمال، ومجتمع بأسره من دون استثناء يجاهر أفراده بتشجيعهم لأنديتهم. يشاركون في احتفالاتها ويحللون خيباتها. كرة القدم في إيطاليا هواء يتنفسه الناس. ذكاء برلوسكوني الحاد جعله يفهم ذلك فعرف كيف يستفيد منه. هكذا ترأس الحكومة في إيطاليا بعدما جعل ميلان على عرش العالم للأندية. حلم الإيطاليون بمستقبل مماثل معه، خاب أمل الكثيرين... والمفارقة أن الديكتاتور موسوليني كان أول السياسيين الذين استفادوا من كرة القدم، واستغلوا كرة القدم لخدمة أهدافهم السياسيّة، بدءاً بتحيّة اللاعبين على طريقته، مروراً بشعارات الأندية وإهدائه الكؤوس والألقاب، وصولاً إلى تدخله المباشر في خيارات المدرب واللاعبين. لم تكن يوماً كرة القدم في إيطاليا مجرد لعبة. إنها حياة مجتمع: حديث الصباح، مع القهوة أو الـ«كابوتشينو». لا يهتم الإيطاليّون إن كانت أحوال كرة القدم في بلادهم بخير أم أنها غارقة في المعاناة، لا يهمهم إن كانوا الأقوى أم لا. وثمة مفارقة، في الأساس، يجب ذكرها على أبواب المونديال تحديداً. إنتصارات إيطاليا ارتبطت بمعاناتها. في 1982 كانت

> **أكثر الصحف مبيعاً في إيطاليا هي «لا غازيتا ديلو سبورت»**

فضيحة المراهنات والتلاعب تعصف بالكالتشيو، لكن باولو روسي ظهر وأنقذ الموقف. وفي 2006 كان زلزال الـ«كالتشوبولي» قد ضرب ايطاليا، فاستفاق جيل ذهبي، وفي المرتين كان عرش العالم الكروي للإيطاليين.